محمود سليم الحوت

في طريق

# الميثولوجيا عند العرب

## وهو بحث مسهب في المعتقدات والأساطير العربية قبل الإسلام

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

٢٠٠٠/٦/١٩٥٥

# الإهداء

إلى أستاذي العظيم الدكتور قسطنطين زريق ،
فهو جزءٌ زهيدٌ من فضلكَ عليَّ ،
وبعضٌ من كلِّ ما أسديته إليَّ ،
إنَّه منكَ وإليكَ ،

المؤلف

# تعريف وتمهيد

بقلم

## الدكتور مصطفى خالديه

عرفت المؤلف معرفة شخصية وثيقة قبل بضع سنوات على أثر صدور أناشيده « المهزلة العربية » في بغداد ، واعتزاله تدريس الأدب العربي في كلية الملكة عالية هناك ، وقدومه الى بيروت عام ١٩٥١

وكنت أعرفه قبل ذلك بزمن طويل في اكثر ما صدر عنه من نثر وشعر ، نشرته كبريات الصحف والمجلات العربية من شرقية وغربية

ولد الاستاذ محمود الحوت عام ١٩١٦ في مدينة يافا لأب بيروتي الأرومة والمنشأ من آل الحوت المعروفين بالعلم والفضل في مدينتنا بيروت منذ مئات السنين ، وام فاضلة تنتسب الى اسرة يافيّة كريمة من أعرق اسر تلك المدينة الضائعة

وقد نشأ المؤلف في يافا الجميلة الزاهية بحدائقها وبياراتها ، ودرج على مهادها ، وهو القائل فيها بعد ضياع وطنه القدسي الغالي

ما تغنى من الطيور الجريحُ  لا ولا خفَّ للسباقِ الكسيحُ
فالرجاءُ الضحوك ما عاد في الافقِ على ربوةِ الأماني يلوحُ
أين رحبٌ من السهول فسيحٌ  وُزواهٍ من الفراديس فيحُ
أبكتها من الهضابِ الأعالي  ورثتها من الجبال السفوحُ
ثم اين الشواطئُ الطهرُ تغدو  نشوةُ الروح فوقها وتروحُ
والبساتينُ مالها ؟ سل شذاها  هل تحجَّرْتَ يا شذى لا تفوحُ

والمروج المروج ما حـلّ فيها ... غير ريح من الصحارى تنوحُ
ليس يجدي السؤالُ فالنفسُ ضاقت ... وتمنّى الفراغَ صدرٌ رزيحُ
أين « يافا » العروسُ يا ويح « يافا » ... أسخيٌّ بكاؤُها أم شحيحُ
أقفرت وهي قطعةٌ من جنانٍ ... بعد ان حلّ عن حماها النزوحُ

وفي هذه العروس الضائعة يقول المؤلف أيضاً :ـ

يافا ، لقد جفّ دمعي فانثحبت دماً ... متى أراكِ ؟ وهل في العمر من أمدِ ؟
أمسي وأصبحُ والذكرى مجدّدةٌ ... محمولةٌ في طوايا النفسِ للابدِ
كيف الشقيقاتُ ؟ واشوقي لها مُدُناً ... كأنها قِطَعٌ من جنّةِ الخُلُدِ
ما حالهُا اليومَ يا يافا وهل نعمت ؟ ... من بعد ان سُلّمت أمساً يداً بيدِ ؟!
وكيف من قد تبقّى في مرابعها ... وقد تركناه فيها تركَ ملتحدِ ؟
ما بال قلبي إذا ما سرتُ في بلد ... يصيح من وجده في الصدرِ وابلدي !
مهما استقامَ له من عيشةٍ رَغَدٍ ... وجدتُه هازئاً بالعيشةِ الرّغَدِ
تعبْتُ لكنني ما زلتُ في تعبي ... أشكو الى الله لا أشكو الى أحَدِ

وقد تلقى علومه الأولية في مدارس يافا الأهلية منها والأميرية ، وما أن أتمّ دراسته الثانوية عام ١٩٣٣ ، حتى التحق بالجامعة الاميركية في بيروت طالباً في الدائرة الاقتصادية ، غير انه لم يكمل سنتين طويلتين حتى تحول الى دائرة الدراسات العربية والشرقية وتخرّج فيها حاملاً شهادة بكلوريوس علوم ( B.A ) في الأدب العربي عام ١٩٣٧

وعاد الى بلده حيث باشر أعماله الحرّة عاماً كاملاً ...

واشتدت الأحوال السياسية ، كالعادة ، واضطر الى الاغتراب ، فرجع الى بيروت ، ومنها قصد بغداد حيث انتدبته وزارة المعارف العراقية مدرساً فيها ، الا أنه آثر الهدوء فطلب ان يرسل الى بلدة نائية ، وعين على اثر ذلك مدرساً في متوسطة « عنّة » القريبة من

الحـــدود السورية الشمالية الشرقية .

وقضى هناك سنـــة كاملة .

وحنّ الى طلب العلم من جديد ، فأمّ بيروت مرّة اخرى ، وأخذ يستعد لنيل شهادة استاذ في العلوم ( M.A ) فحصل عليهـا في شهر حزيران من عام ١٩٤٠ .

ولم يكد يرجع الى وطنه ، ويستروح قليلاً حتى عين « مساعداً لمراقب البرامج العربية والنشر » في محطة اذاعة القدس ، حيث قضى في تلك المصلحة عاماً ونيفاً .. وما كاد يستقيل ويخلد الى قليل من الراحة حتى استدعته ادارة المعارف العامة ، فأمضى بالقدس نحو ستة اشهر قبل ان تناط به وظيفة « مفتش معارف بلدية يافا » و « مساعد مفتش معارف اللواء الجنوبي » من فلسطين لمدارس المدينة ذاتها ، حيث بقي في هذا المنصب من اوائل عام ١٩٤٢ حتى انسحاب الحكومة المنتدبة على البلاد وتشريد أهاليها عام ١٩٤٨ .

وكان أن عاد المؤلف ، مع جميع افراد اسرته ، الى بيروت ، مدينة آبائه وأجداده ، واستقرّوا فيها الى ان يقضي الله أمراً كان مفعولاً .. الاّ انه لم يلبث ان غادرها وحده بعد ان انتدبته وزارة المعـــارف العراقية استاذاً في كليات بغداد العالية حيث قضى ثلاث سنوات محاضراً في الأدب العربي وتاريخه ، في كل من « الكليّة التوجيهية » و « كلية الآداب والعلوم » و « كلية الملكة عالية » ... وكان قبل ذلك قـد اتفق مبدئياً على الالتحاق بوزارة المعارف الاردنية في عمان لما له من وثيق الصداقات التي تربطه مع رجالات تلك المملكة الفتية .. خاصّـة وان جلالة المغفور له الملك عبد الله ، كان دائماً يصدر عن كرمه الهاشمي ، فيدعو المؤلـــف الى الاردن ، تارة شفاها وتارة اخرى بالشعر الأعصم الكريم . ومن اوائل هذا الشعر السامي قصيدة نشرتهـــا جريـدة الدفاع الغراء التي كانت تصدر آنذاك في مدينة يافا ، وذلك بعدد يوم

الأحد الواقع بتاريخ ٣٠ آب ١٩٤٢ . وقد جاء فيها :-

(ما كنت في ذكر وجدي غير محترس)[1] يقوله شاعرٌ قد هيضَ من شُمُسِ
قُبٍّ شوازبَ في ركبٍ مشينَ بهِ يتبعن للعرب رأساً غيرَ منتكسِ
فهاجه الشعر من بعدٍ وعن كثبٍ فجاء بالدرِّ قولاً طيِّبَ النَّفَسِ
يا شاعراً ما عرفناه لساعتنا هلاَّ تزورُ بلادَ الأينُقِ الكُنُسِ
فتستطيبُ رُباها والفلا مرحاً فتطرحُ الأينَ فيها لستَ بالخَنِسِ
بعيدةً عن زحام الغيرِ قد عَرُبَتْ فيها المكارمُ تحيا لَسْنَ بالدُّرُسِ
ما كنتُ أحسبُ أنَّ القولَ مُستَمَعٌ حتى أجبتَ كلامَ الشاعرِ الأنِسِ[2]
عبرَ الجبال ، وعبرَ الغورِ تُسْمِعُنا ما هاجَ منك ضميرَ الحانقِ اليَئِسِ
ما هذه الدارُ إلا بعضُ أرضِكُمُ لا تيأسَنَّ لذكرى غابرٍ طَمِسِ
من ينصرِ الله ينصرهُ بلا مَهَلٍ فمِنْ مآثرِ اسلافٍ لنا اقْتَبِسِ

وغادر المؤلف بغداد الى بيروت . وهنا تعاقد مع جامعتها الاميركية استاذاً للأدب العربي طوال العام الدراسي ٥٢/١٩٥١ في كليتها الاستعدادية .

وما كاد هذا العام ينقضي حتى استدعته جامعة تكساس في مدينة اوستن من أعمال الولايات المتحدة الأميركية ، بالأشتراك مع وزارة الخارجية الاميركية ، استاذاً زائراً ، فغادر بيروت ، طائراً ، الى اميركا حيث أنشأ دائرة للدراسات العربية الشرقية في الجامعة المذكورة .

---

(١) اشارة الى قصيدة المؤلف الاستاذ محمود الحوت التي يقول في مستهلها :

ما كنت في ذكر وجدي غير محترس حتى بدا طيفها في هدأة الغلس
فرعاً من النور وهاجاً كما سطعت في ليلة القدر بشرى فجرها القدسي
مرت على خاطري رؤيا مجنحة أسرى بها في خيالي شارد النعس

(٢) وهو يعني الاستاذ عبد المنعم الرفاعي ، رئيس التشريفات السنية آ نذاك .
وكان الرفاعي قد بعث الى صديقه المؤلف بقصيدة على اثر مرور موكب سيد البلاد بوادي الموجب ، ناسجاً بدوره على منوال احدى قصائد سمو الامير عبد الله (قبل التتويج) في تلك الرحلة قد اجاب الاستاذ الحوت بقصيدته على نفس الغرار .

وفي اوائل عام ١٩٥٣ عاد الى بيروت حيث كان في ٢٠ ايلول ١٩٥١ قد تزوج من الآنسة المهذبة « نوال » كريمة ابن عمه « المغفور له » جميل سعد الدين الحوت ، ولم يستقر في العاصمة اللبنانية إلا بعد ايابه من رحلته الأميركية . وهو الآن يشغل منصباً رسمياً كبيراً للترجمة ، ويلقي محاضرات علم النفس على طالبات مدرسة التمريض الوطنية في بيروت

ومهما كان تعريفي بالمؤلف ، فلن أتمكن من الاحاطة بنواحي شخصيته الثقافية كلها ، ولكنني أعلم انه كان محركاً ديناميكياً لذلك النشاط العجيب الغريب الذي كانت مدينة يافا تجيش به في السنوات القليلة التي سبقت عام ١٩٤٨ ، فقد أمّها للمحاضرة فيها وإلقاء طرائف من روائع الشعر ، عدد كبير من كتّاب العالم العربي وشعرائه من أمثال عباس محمود العقاد ، وابراهيم عبد القادر المازني ، وتوفيق الحكيم من مصر ، وفؤاد الخطيب من الأردن ، وخليل مردم بك ، وعمر أبوريشة من سوريا ، وعبدالله العلايلي وأمين نخلة ، وكرم ملحم كرم ، والحوماني ، والأخطل الصغير ، من لبنان ، واحمد الصافي النجفي ، ومحمد الجواهري من العراق وغيرهم كثير ، أضف الى هؤلاء كلهم أدباء فلسطين وشعراءها ، ورجال العلم فيها ، ومفكريها الذين كانوا يشتركون في حفلات المدينة الخطابية ومهرجاناتها الأدبية والشعرية التي كانت تقام على فترات قصيرة متوالية

وعلاوة على جهود المؤلف الصادقة في العمل على إظهار تلك الحفلات والمهرجانات بما تستحق من حلة قشيبة وبهاء أخّاذ ، وعلى قيامه بالتمهيد لها خير تمهيد ، وتقديمه الأدبي الرائع للكتاب والشعراء على افضل وأكرم ما يكون التقديم ، فقد كان هو نفسه سكرتيراً لعدد من اللجان الثقافية في البلاد ، ومحاضراً في كل جمعية وناد ، ومشتركاً بكل مهرجان فكري عام ، وكل حفلة أدبية او شعرية كبرى ولطالما دعي الى إلقاء المحاضرات في طول البلاد وعرضها ، فهو تارة في حيفا ، وهو تارة في غزّة ، واخرى في نابلس والقدس والخليل ، وعمّان وهو ما كان

ليعتذر عن تلبية أية دعوة توجهها اليه اللجان الثقافية إلا إذا كان مدعواً حول ذلك التاريخ الى إلقاء محاضرة من محاضراتـــه او مختارات من مختارات اناشيده واشعاره .

هذا ويعود نشاط المؤلف الادبي الى عهد بعيد .. الى ايام دراسته الثانوية الباكرة ، والى عهد طلبه العلم في جامعة بيروت الاميركية ، فقد كان من أبرز أعضاء جمعية العروة الوثقى العاملين النشيطين البنائين ، كما عمل آنذاك رئيساً للجنة التحضيرية الداعية لمؤتمر الطلبة العرب والممهدة الى عقده في القاهرة خلال صيف ١٩٣٧ ، لولا ان حالت دون ذلك ظروف محلية مصرية قاهرة .

والمؤلف ، أيان حلّ وارتحل ، لم يكن يهدأ او يركن الى سكينة فقد تغنّت بغداد طوال نزوله فيها باشعاره الوطنية ، وأناشيده الحماسية ، واغانيه الوجدانية ، وهو كثيراً ما اشترك في برامج اذاعتها ، وحاضر في أنديتها ، والقى فرائد القصائد ، وغذّى بها صحافتهـا ، الى جـانب زاوية عنوانها « من عيون الشعر العربي » كانت تخصّه بها محطة الاذاعة العراقية ليلقيها على فترات من وراء مذياعها .

وقد ألحّ عليه أصدقاؤه الكثيرون في بغداد ، وحملوه عـــلى نشر ملحمته « المهزلة العربية » فصدرت عام ١٩٥١ ، وتخاطفتهـا الايدي ، واذاعت المقتطفات الطويلة منها محطات الاذاعة العربية في مختلف الاقطار وتناولتها صحف العالم العربي ومجلاته ، وكذلك الصحف العربية في المشرق والعالم الجديد ، بالتعليق والتقريظ ، وقد نفدت الطبعة الاولى من هذه الملحمة في ايام معدودات .

ولم أقل « حملوه » حملًا على نشرها ، مجاملة مني وعفواً ، فأنا أعرف عنه جيداً أنه أبعد الكتاب والشعراء عن الطنطنة ، ولهذا كثيراً ما كان يلجـأ الى الاسماء المستعارة ، أو حتى الى نشر قصائده ورسائله وقصصه ومقالاته غفـلًا من التوقيـع . ونزولاً عند ارادته فقـد وقع كثيرٌ من الصحف ،

انتاجه المتعدد النواحي بأمثال هذه الاستعارات : « م » ، « م . ح » ، « فلسطيني » ، « بحري » ، ربيع » « ... » ، « نزيل بغداد » « بعيد » الى غير ذلك.

وعلى كثرة ما انتج المؤلف ، فلم يصدر له على شكل مجموعة او كتاب ، الا ملحمته « المهزلة العربية » وهي أناشيد عربي من فلسطين ضلّ في الآفاق ، والا هذا المؤلّف الذي بين يديك أيها القارىء الكريم ، وقد سبق ان نشرته له تباعاً مجلة « الأديب » الغراء التي تصدر في بيروت

وللمؤلّف ، كما أعلم ، علاوة على شعره الضخم ، ديوان من القصائد الوجدانية جاهز للطبع منذ سنوات ، اسمه « ربيع » والظاهر أن توالي الاحداث قد حال دون صدوره ، ولا أدري متى يدفع به الاستاذ محمود الى عالم النشر .

هذا وعهدي بالذين تتاح لهم الفرص فيزورون اوروبا او العالم الجديد ، ان تأخذ بأبصارهم مظاهر الحياة ، وكل ما فيها من جديد بالنسبة اليهم . أما صاحبنا ، فعلاوة على تجواله في كل ناحية من نواحي الشرق العربي من جنوب مصر الى الاردن وسوريا كلها ولبنان الى العراق ، وزيارته الخاطفة لأوروبا ، فقد مكث نحو نصف عام في الولايات المتحدة الاميركية ، وطوّف ما بين شماليّها الى جنوبيّها ، وراح في محاضراته العديدة ، باللغة الانجليزية ، يعرّف ابناء « العم سام » بماضي العرب المجيد وحاضرهم المتطلع الى المستقبل ، فألقى المحاضرات على منابر جامعة تكساس وفي صفوفها ، كما دعته الاندية الكبرى وبعض الكنائس ، محاضراً في التاريخ والادب والاجتماع والدين والسياسة ، رامياً من وراء ذلك كله الى كشف ما أُلقي على أبصار القوم هناك ، فحال دون رؤيتهم نور الحق الأبلج في كل ما يتعلق بقضايا الشرق العربي عامّة ، وقضية وطنه البلد المقدّس الذي ساهم في إضاعته نفر ضئيل من كبار ساستهم خاصّة . هذا ، والمؤلف ان كان يأسى لشيء معيّن ، فلم يذكر قط بعد تشريده ثروة كبيرة أضاعها ، او عرضاً دنيوياً زائلاً سقط من يديه ، وانما

يذكر ، والغم يعتصر قلبه ، الأرض التي دبّ عليها ، والتي اقتلعوا جذور شجرة احلامه من أعماقها ، ويرمي بخياله الجريح الى معظم مـــا خطه وسطّره قلمه المغموس بدم قلبه من نثر وشعر خلّفهما وراءه في منزله الجميل القائم في أروع احياء « يافا » الخالدة ، وأضاعهما فيما أضاع حتى ذلك العام المشؤوم (١٩٤٨) .

وأخيراً حان لمؤلّفه القيم « في طريق الميثولوجيا عند العرب » ان يظهر الى عالم النشر مجموعاً في صورة كتاب كامل ، والواقع أنه لم يحل دون ظهور هذا الكتاب عائق الاّ عنصر التواضـــع الذي يغلب على المؤلّف . لقد كان كثيراً ما يقول ان كتابه هذا عبارة عن رســـالة خاصة في موضوع محبب اليه ، تقدم بها الى دائرة الدراسات العربيـة في جامعة بيروت الاميركية لنيل شهادة استاذ في العلوم (M.A.) ليس الاّ .. وكان الى ذلك يعتقد بان باحثاً اطول منه باعاً في مثل هذه الدراسات لا بد وان يطلع علينا بكتاب في الموضوع نفسه أشمل وأعم .. وانتظر ، وطال به الانتظار .. وبقي الحيّز المعدّ في المكتبة العربية لمثل هـــذا الكتاب شاغراً يترقّب .

وكان ان دفعت بالاستاذ الحوت عوامل شتى الى نشر اولىّ للكتاب في مجلة « الأديب » على دفعات ، وما كادت الابحاث تظهر حتى توالت على ادارة المجلة ، وعلى المؤلف نفسه رسائل الثناء من كبار الباحثـــين ورجال الفكر واللغـــة والأدب ، مؤيدين ومشجعين وحاضّين على نشر الكتاب كاملاً .

هـذا بالاضافة الى الالحاح الشديد من مختلف الاصدقاء على اصداره منذ زمن طويل .. وها هو ذا بين ايدي القراء بحثاً مستفيضا في المعتقدات والأساطير العربية قبل الاسلام ، لا نظن ان طالب الأدب العربي ، وخاصة الجاهلي منه ، يستطيع الاستغناء عن أمثاله .

أما المثقفون من غير طلاب الأدب والحضارة العربية ، فهم أدرى بأن

الثقافات الغربية والشرقية لا يمكن ان تقوم الا على اسس وجذور ضاربة الى الاعماق . ولهذا كان للميثولوجيا اليونانية والرومانية خطرها ومؤثراتها في حضارة الغرب اللغوية والأدبية والاجتماعية .

والأستاذ الحوت كان على علم بهذه الحقائق عندما أقدم على هـذا الموضوع الشائك الخطير الشائق ، كما كان على معرفة اكيدة بأنه رائد مجاهل وفاتح آفاق ، ولهذا نراه يشير الى ذلك في مقدمته .. لا بل حتى في عنوان الكتاب الذي سماه « **في طريق** الميثولوجيا عند العرب » ولم يكتف بتسميته « الميثولوجيا عند العرب » وحسب .

وانه ليسعدني ان يُطلبَ إليَّ تقديم المؤلف وكتابه القيم ، وإن كانا في غير حاجة الى تقـديم او تعريف ، فصديقي الأستاذ محمود سليم الحوت كاتب معروف وشاعر كبير ، وامـا كتابه فأتركه للقراء الكرام يحكمون عليه بأنفسهم . وإنهم لأقدر مني على ذلك .

بيروت في ١ / ٦ / ٥٥ الدكتور مصطفى خالديان

# في طريق الميثولوجيا عند العرب

في طريق الميثولوجيا عند العرب ، رسالة كنت تقدمتُ بها الى دائرة الدروس العربية في جامعة بيروت الاميركية لنيل شهادة « استاذ في العلوم » وبعد الانتهاء من هذه المهمة العلمية ؛ بقيت هذه الرسالة مدة طويلة في منعزل عن عالم النشر ، وانا انتظر ان يتناول هذا الموضوع اكثر من قلم فيتعبد السبيل لمن يرغب في ارتياد تلك المجاهل من أدب العرب القديم .

واليوم ، وبعد سنوات عدّة ، وجدت لزاماً عليّ ان أدفع بها الى عالم النشر .

## المقدمة

كنت ولا أزال ، اعتقد ان في الخزانة العربية حيزاً معداً للميثولوجيا لم يشغل بعد ، ولا اعلم سبباً لهذا النقص في الادب العربي الحديث ؟ ولعله اعتقاد عام ، يكاد يكون راسخاً ، باننا لم يكن عندنا ميثولوجيا خاصة ، كأن العرب ليسوا كغيرهم من الامم القديمة التي لعبت الآلهة والشياطين دوراً هاماً في حضارتها الاولى ، ولقد قالوا : حتى نتوصل الى صميم حضارة ما ، يجب ان نكون على علم بآلهتها [1]

ولعمري ان لهذا الاعتقاد اثراً فعالا في حد الخلق في ادبنا المعاصر

---

(١) Hackin And Others : Asiatic Mythology, ص ٢٩ .

وكبح الخيال عن الانطلاق في اجواء رحبة فياضة بالاوهام والتصورات يغرق فيها المبدع والمتذوق لهذا الابداع فيعيشان هنيهات سكرى، يمتزج فيها العقل بالعاطفة، فتنتعش الروح، وهل من نتيجة للادب الحي اسمى من الانتعاش الروحي ؟.

ان لمحة في الكتب الصفراء حملت شاعراً من شعرائنا الافذاذ الى عبقر فعاد وفي جعبته ملحمة صغيرة، لو تروّى في اخراجها لجاءت اروع مما هي عليه الآن من الادب المستحب الرفيع. وعديدة هي الموحيات في تراثنا الادبي لو وجدت عبقرية هاضمة خالقة في آن واحد.

والكثير من الذين يرون ان العرب كانوا على شيء من البلوغ الى هذه العوالم، يعتقدون انهم استوردوها، فيما كانوا يستوردون، من الامم المجاورة. نعم، ان العرب لم يكونوا منعزلين عن جيرانهم، بل كانوا ذوي صلات وثيقة بالاطراف. والتاريخ يشهد على ان المصريين القدماء، والاكاديين قد اخترقوا بلاد العرب، ومما زاد في احتكاكهم الخارجي نشوء المستعمرات الاجنبية في الجزيرة على توالي الزمن، وازدهار الطرق التجارية التي كانت تنقل مستوردات الهند، وافريقية الشرقية، وبلاد اليمن الى العالم الغربي، والامبراطورية البيزنطية [1] فلا عجب اذا « كان الدخيل كثيراً في العربية قبل الاسلام. لانه لا يحتمل ان يتصل العرب بسكان مصر، والشام، والعراق، وفارس كما كانوا متصلين، ولا يدخل العربية كثير من اللغات المصرية، واليونانية، والسريانية، والعبرانية، والفارسية، ولو خفي على جامعي العربية اصل كثير من كلماتها فحسبوها كلها من صميم العربية » [2]

لقد احتك العرب بغيرهم من الشعوب، ما في ذلك ريب. ولا شك في اخذهم عنهم الكثير، حتى عبدت آلهة اشورية في اليمن، وأثّرت

---

(١) O'Leary : Arabia Before Muhammad ص ١٩١

(٢) ص : د ـ ه يعقوب ضروف في مقدمته لكتاب : « فلسفة اللغة العربية وتطورها » لضومط

حضارة الفينيقيين واليونان في اليمنيين ، كما ظهر انه كان للحضارة الاشورية والنبطية تأثير على الحجازيين .

حسن كل ذلك ، على أنـــه بدهيّ ايضاً ان يكون للعرب انفسهم تأثير على غيرهم من هذه الشعوب ، فالقضية لا بد وان تكون « كبيع السوق خذ مني وهات » كما يقول جرير ! مما أدى بهومل Hommel الى القول ان من المحتمل الشديد ان يكون اليونان قد استعاروا ، منـذ القـدم ، عن طريق التجار العرب الجنوبيين آلهتهم Apollo وامه Leto و Dionysos و Hermes [1] . ونعلم ايضاً ان اليونان قد اخذوا الكثير من شعوب الهلال الخصيب من آلهة ومعتقدات .

فكيف إذاً نحمل الميثولوجيا العربية الضيم إذا استعارت من غيرها ، ولدى التحقيق لا نجد ميثولوجيا خاصة لشعب من الشعوب دون ان تكون قد أخذت الكثير من غيرها ؟ ولو اوغلنا في القدم متعمقين في اصل اللغات [2] لوجدنا ان هذه الاساطير وما بها من اسماء ميثولوجيـة انما تنبثق في البدء من اصل واحد ، وتتفرع بانشقاق الشعوب ، وتختلف باختلاف طرق المعيشة التي اخذ باسبابها كل شعب في نطاقه على حدة . ولهذا نجد كثيراً من الشبه الاصـــلي في ميثولوجيا الشعوب المتجاورة والمتباعدة منها .

فالقضية اخذ وعطاء ، كما قلنا ، لا بل ان المغرقين في الشبهات يرون حتى الاديان السماوية ، في زعمهم ، سلسلة اعتمادات ، فاذا ما تداولوا قصص القرآن التي تدور حول اشخاص توارتية وجدوا لهـــا تتبعاً في التلمود ، وفي احوال اخرى يرون امثال هـــذه الاساطير في الزندفستا Zendavesta [3] او الوثيقة الاصلية لديانه زروستر Zoroaster [4] .

---

(١) ص ٣٨٠ ، المجلد الأول Encyclopaedia of Islam

(٢) ص : ١٢٩ المجلد التاسع عشر Encyclopaedia Britannica

(٣) ص : ٣٣٨ Claude Reignier Conder : Syrian Stone-Lore

(٤) ص : ٩٦٧ المجلد الثامن والعشرون Encyclopaedia Britannica

ولعل امتناعنا عن البحث في الميثولوجيا العربية ناتج عن الظن بأن الميثولوجيا هي وقف على العلاقات بين الآلهة والابطال من زواج وحروب ، كما كان عند الاغريق حيث تشارك الآلهة البشر بالاحساس والمأكل والمشرب ، وحيث كثر تشبيه البشر بالآلهة في الشعر حتى زعموا انه كان لكثير من ابطال اليونان علاقة نسب بالآلهة ، وكذلك لغيرهم من الشعراء كهوميروس الذي اعجب به ارسطو فالصق نسبه بالآلهة [١]

على انه ، وان كان عند العرب ما يشبه ذلك ، كما سنرى ، فليس هذا كل ما تعطيه الميثولوجيا من معان . فهي علم يبحث في اساطير التكوين والآلهة والابطال ، وهي كلمة تطلق على هذه الاساطير نفسها . فعندما نتكلم عن الميثولوجيا اليونانية نعني بذلك اساطير البطولة اليونانية ، والمقدسة ، والسماوية ، كما نعني بعلم الميثولوجيا تلك المحاولات التي رمت الى ايضاح هذه الخرافات [٢] وتعطي كلمة الميثولوجيا ، ايضاً ، معنى عرض الخرافة او تفسيرها ، وتطلق على القصة الخرافية نفسها او على مجموعة اساطير تتعلق بالمعتقدات الخرافية او الدينية لقطر من الأقطار او شعب من الشعوب ، او على تلك الناحية من العلوم التي تعنى بالخرافات والأساطير [٣]. ولهذا قال احمد امين ان الخرافات كسد مأرب والخورنق وغيرها اصبحت موضوعاً لما يسمى علم الميثولوجيا [٤]

فإذا ما درسنا الميثولوجيا العربية فيما سنثبته من فصول ، لا نكون أبعدنا عن صميم الموضوع ، وبهذا نكون ان مهدنا الطريق الى باب لم يزل مغلقاً ، قد بلغنا الغاية التي بذلنا من اجلها هذا المجهود القليل

---

(١) ص : ٢٢ ، ٢٨٦ ، ٥٩٠ سليمان البستاني : الياذة هوميروس

(٢) ص : ١٢٨ المجلد التاسع عشر Enc. Brit

(٣) ص : ٨١٩ المجلد السادس Oxford Dictionary

(٤) ص : ٤٧ ، ٤٨ احمد امين : فجر الاسلام

# الباب الأول

## رفض عبادة الأحجار في الجزيرة العربية

### الفصل الاول في الاسلام

لم يبق الاسلام على اثر من عبادة الاحجار التي سادت أديان الجاهليين في بلاد العرب فقد كان الشرك بالله اول ما دعا محمد الى محاربته والقضاء عليه ولم يتساهل هذا الرسول العربي، على ضعفه في بدء الدعوة مع قريش، اشد القبائل مناهضة للدين الجديد، في شيء من امور آلهتهم، بل أخذ يسفه احلامهم ويعيب اديانهم، بعد ان كذبوه وآذوه، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، ولما اشتد عليهم أمره وكادت تعاليمه تنتشر بين القبائل، اجتمع رهط من اشراف قريش وبعثوا اليه فجاءهم، وكان حريصاً على رشدهم فقالوا له «يا محمد انا قد بعثنا اليك لنكلمك، وانا والله ما نعلم رجلاً من العرب ادخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة، فما بقي امر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالاً، وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وان كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك .. بذلنا اموالنا في طلب الطب لك حتى نبرءك منه او نعذر فيك» فيجيبهم محمد بقوله

« ما بي ما تقولون . ما جئت بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني اليكم رسولاً وانزل عليّ كتاباً وامرني ان اكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وان تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم [1] »

وهنا يعلمون ان بينهم وبينه لصراع المستميت فيجادلونه ويناضلونه سواء دفاعاً عما ورثوه من العادات المتأصلة والمعتقدات ، وذوداً عن حياض الآلهة ، او كما يرى نلدكه ، انفةً منهم عن الانصياع الى حاكم فرد او حكومة منظمة ، ورغبةً في احتفاظهم بشؤون اقتصادية لها علاقة وثيقة بالمقامات الدينية بينهم [2] .

وما زال هذا الصراع محتدماً حتى لانت قناتهم امام هذا الدين الجديد الذي حاربهم بالكلام والسيف .

وبدلاً من اشتراطهم على النبي – فيما بعد – ان يعبدوا آلهتهم العديدة علاوة على عبادة ألهه الواحد اساساً لدخولهم في الاسلام ، اخذوا يطلبون منه ان لا يهدم هذه الآلهة ، او فليبق عليها ولو مدة من الزمن فأبى بل وطلب من وفودهم ان يهدموها بانفسهم . رووا ان ركب ثقيف قدموا يريدون البيعة والاسلام ، واشترطوا ان لا يهدم لهم الطاغية – وهي اللات – ثلاث سنين فابى عليهم ذلك ، فما برحوا يسألونه سنة سنة وهو يأبى حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم ، فابى عليهم ان يدعها شيئاً مسمى ، وكان من شروطهم مع ترك الطاغية ان لا يكسروا اوثانهم بايديهم . فقال لهم : اما كسر اوثانكم فسنعفيكم منه [3]

ومما يذكر ايضاً مع هذا الحديث ما رواه موسى بن عقبة قال :

---

(١) ص : ١٨٧ ، ١٨٨ محمد بن اسحاق – رواية ابن هشام : السيرة

(٢) ص : ٦٥٩ المجلد الاول : Enc. of Religion and Ethics

(٣) ص : ٩١٦ : السيرة

« ان وفد ثقيف كانوا بضعة عشر رجلاً فلما قدموا انزلهم رسول الله المسجد ليسمعوا القرآن ، فسألوه عن الربا والزنا والخمر فحرّم عليهم ذلك كله ، فسألوه عن الربة ما هو صانع بها ؟ قال : اهدموها ، قالوا : هيهات ! لو تعلم الربة أنك تريد ان تهدمها قتلت اهلها ! فقال عمر بن الخطاب : ويحك يا ابن عبد ياليل ما اجهلك ! انما الربة حجر . فقالوا: انا لم نأتك يا ابن الخطاب ! ثم قالوا : يا رسول الله تولّ انت هدمها. اما نحن فانا لن نهدمها أبداً . فقال : سأبعث اليكم من يكفيكم هدمها [1] » .

ولما خرج الرسول من المدينة متوجهاً الى مكة قال العباس بن عبد المطلب : « يا صباح قريش ، والله لئن بغتها الرسول في بلادها فدخل مكة عنوة انه لهلاك قريش آخر الدهر [2] » . غير ان محمداً يدخل مكة فاتحاً في السنة الثامنة للهجرة ، ويقف على باب الكعبة ، ثم يقول من حديث له : « يا معشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم ، وآدم خلق من تراب » ويتلو الآية : « يا ايها الناس أنا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » [3] ويخاطب قريشاً بقوله : « يا معشر قريش ويا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم ؟ » فيقولون : « خيراً .. أخ كريم وابن اخ كريم » فيسرحهم ويقول : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » [4] .

وهنا تتجلى سلطة النبي واتباعه ، بعد ان كان يستهزأ به وبدينه ، ويقال لتابعه وهو يعذب اشد العذاب : اما ان تموت او تكفر بمحمد [5] .

---

(١) ص : ٣٣ المجلد الخامس ، ابن كثير : البداية والنهاية

(٢) ص : ١٦٣٠ ، ١٦٣١ المجلد الاول ، تاريخ الطبري

(٣) القرآن الكريم : سورة ٤٩ آية ١٣

(٤) ص : ١٦٤٢ المجلد الاول ، تاريخ الطبري

(٥) ص : ٢٠٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ : السيرة .